المنازلة الكبرى وقائدها
المقدمات والوقائع
إدارة الأزمة..
موقف العراق والمواقف الأخرى..
(٤-٤)

حميد سعيد عبد الجبار محسن عبد الأمير معلة

وحين يستقبل سيادته وزير العدل التونسي في ١/ ٩/ ١٩٩٠ ويتحدث عن استعداد تونس للإسهام من اجل إخراج الأمة من المأزق ومن آثام وجود الجيوش الأجنبية في الأراضي المقدسة..

يقول الرئيس صدام حسين: (بعون الله نتعاون على أية فكرة.. وإذا تكونت لدى الأخ الرئيس- بن علي- أية فكرة جديدة فأنا مستعد أن أراه)..

ومما قاله سيادته: (إذا كانت هناك عودة عربية إلى الموضوع، فعلينا أن نقسم الموضوع إلى قسمين.. الفوري - والكويت ليست فورية- فليس فيها قتال لكي نستعجل إيقافه.. إن الفوري والملح هو وجود الكفار على أرض المقدسات للمسلمين، فلنذهب إلى فهد، نطمئنه.. ونحن حاضرون لأن نقدم ما يطمئنه.. وهو بدوره يقول للأمريكان هذه مصاريفكم وهذه هدية المسافر (صوغة) وهذه أيضاً قبلة للحيتكم.. وكل ما يطلب منا لتطمين فهد نحن حاضرون وبعد ذلك نتفق حول الكويت).

إن أي حديث عن محاولة حل عربي، وكيف قمع وقطع الطريق عليه.. لا يكمل إلا بالحديث عما أطلق عليه قمة القاهرة والتي لم تكن مفاجأة فحسب، بل جاءت لإعطاء الحل العسكري صفة الضرورة.. فبعد وصول القوات الأمريكية بيوم واحد دعا حسني مبارك إلى عقد هذا المؤتمر.

يقول السيد طارق عزيز: أنهم لا يميلون إلى اجتماعات القمة الموسعة في الأزمات، هذه هي طريقتهم، دبلوماسيتهم، دبلوماسية كواليس، ودبلوماسية الأطر الضيقة، هم يقولون عادة.. لماذا نأتي برئيس الصومال ورئيس جيبوتي.. ونشركه في هذا الموضوع؟ ولماذا نأتي بفلان وفلان ويذكرون أسماء؟ ولكن في هذا الموضوع وقف حسني ليدعو إلى عقد قمة عربية.. استدعى سفيرنا في القاهرة، وقال له: أنا دعوت للقمة، قمة للحوار، من اجل أن نصل إلى حل..

ثم يقول في معرض الحديث عن مجريات المؤتمر المذكور: (ذهبنا أنا والأستاذ طه ياسين رمضان والدكتور سعدون حمادي إلى القاهرة. ومن المطار أرسلونا إلى دار ضيافة فلفت ذلك انتباهي. قلت لسفيرنا في القاهرة: أين نزلت بقية الوفود؟ أنزلوا في دور ضيافة أيضاً؟ أنا أعرف أنه لا توجد في مصر دور ضيافة كثيرة. فقال السفير: كلا. الوفود كلها في الفنادق. هذا الفندق الذي أمامنا موجود فيه الملك حسين والعقيد معمر القذافي والرئيس السوداني. قلت له: لماذا وضعونا هنا في هذه العزلة إذاً؟ فقال السفير: لا أعلم، في آخر لحظة في المطار قالوا لنا أن أمراً جاءهم بأن ينزل الوفد العراقي هنا. في اليوم الثاني أثرتها عندما حصل لقاء وزراء الخارجية، قلت لعصمة عبد المجيد: نحن نشكركم على تكريمكم للوفد العراقي، كرمكم معروف، ولكن لفت انتباهي هذا الكرم الكثير اقصد أن تضعونا نحن في مكان غير المكان الذي توجد فيه بقية الوفود، كانت هذه محاولة لعزلنا حاولنا أن نتصل بحسني مبارك، وفي وقت متأخر استطاع السيد نائب رئيس الجمهورية طه ياسين رمضان أن يزوره. فقال له: ما هذا المؤتمر؟ فرد حسني بأن هذا مؤتمر حوار. وغداً إن شاء الله نلتقي ونحاول أن نجد حلاً.

ذهبنا إلى المؤتمر. افتتح حسني المؤتمر بخطاب، وبعد الخطاب مباشرة كانت استراحة، وبعد ذلك وزعت أوراق، كنا قد خرجنا عندئذ لنغتسل، فوجدت في الورقة مشروع قرار كامل. ذهبت إلى اسامة الباز، وقلت له: ما هذا يا اسامة؟ قال: هذا مشروع قرار، قلت له: هذا قرار نتيجته أنكم ترسلون قوات إلى جانب القوات الأمريكية في السعودية بهدف مقاتلتنا، أنت سياسي وأنا سياسي، وكلانا يعرف هذا، فأين الحوار الذي قال عنه الرئيس مبارك إذاً؟

المهم هذه الورقة توزعت ظهرا في نحو الساعة الواحدة أو الثانية، وفي الساعة السادسة، جمعنا حسني مبارك للتصويت. الملك حسين تحدث، وتحدث القذافي، وتحدث الرئيس علي عبد الله صالح، وتحدث آخرون، وقالوا له: ليست هذه الآلية التي تعمل بها الجامعة العربية، لا على مستوى الوزراء، ولا على مستوى القمة، فالمفروض أن تكون هناك لقاءات ومناقشات وإلقاء كلمات، وتجري في ضوء ذلك مداولات من اجل إصدار قرار، فقال مبارك: كلا. أنا أريد تصويتاً. أريد موقفاً، فصوتوا. رفع بعضهم الأيدي، فراح حسني يعد الأصوات، فوصل إلى عشرة ونسي ممثل البحرين. فقال: (كفاية كده) فنبه أحدهم إلى ممثل البحرين، فقال: أصبحوا أحد عشر. فاز خلاص المقترح، ونهض، نهض حتى من دون أن يلقي كلمة. يقول فيها: أشكركم أيها السادة أصحاب الفخامة والجلالة على حضوركم).. وهكذا تم الإجهاز على الحل العربي.. وفتح الباب أمام المخطط الأمريكي.. وخياره العسكري.

***

كان لا بد للعراق من أن يصفي المضاعفات التي خلفتها حرب السنوات الثماني بينه وبين ايران، وهو يتهيأ لمستجدات الموقف، وبتاريخ ١٩٩٠/٧/٢٥.. وفي أثناء استقبال الرئيس صدام حسين للآنسة (ابريل غلاسبي) السفيرة الأمريكية ببغداد.. ولأن سيادته كان يدرك أن الموقف الايراني لا بد من أن يظل في إطار حسابات الذين

يواصلون الضغط على العراق.. ولم تغب عن ذهنه الكيفية التي تصرفت بها الأمم المتحدة وأمينها العام أياماذاك (بيريز دي كويلار) في عرقلة مسيرة السلام بين بغداد وطهران على أمل خدش وجه النصر العراقي في أطول حرب عرفها العصر الحديث بما فيها من تداخلات وتضحيات، ولكي تبقى الأوضاع معلقة بين البادين حيث يمكن اللعب بها وتفجيرها، بهذه الرؤية ومن خلالها.. اقترب سيادته من أهم احتياطي للتوتر والتفجير وقال:

(في عام ١٩٧٤.. التقيت مع ابن الملا مصطفى البارزاني في هذا المكان الذي تجلسين عليه.. واسمه ادريس.. جاءني يطلب تأجيل الحكم الذاتي في كردستان العراق، كما اتفق عليه في بيان ١١ آذار لسنة ١٩٧٠، فقلت له: اننا إصرار على أن نلتزم بتعهداتنا وعليكم كذلك الالتزام بتعهداتكم وعندما رأيت أن هناك نيات شر من البارزاني، قلت له: سلم لي على أبيك ولنقل له أن صدام حسين يقول ما يأتي، وحدثته عن توازن القوى بالأرقام والمعطيات، مثلما تحدثت مع الايرانيين في رسائلي المفتوحة إليهم في أثناء الحرب.. وخرجت من الحديث حول هذه الأمور بنتيجة أوجزتها بالقول: أنه إذا حصل قتال عسكري سننتصر، وقلت له: أتعرف لماذا؟ لكل هذه الأسباب التي ذكرتها زائداً سبب سياسي.. أنتم تعتمدون على خلافاتنا مع ايران (الشاه)، وايران مستندة في خلافها مع العراق إلى أطماعها بالحصول على نصف شط العرب، فإذا كان الاختيار أن نحافظ على العراق كله ومعه شط العرب ونكون بخير لن نتنازل عن شط العرب، وإذا وضعنا في زاوية إما نصف شط العرب أو كل العراق، فأننا سنعطي نصف شط العرب.. والبارزاني مات ودفن خارج العراق وخسر معركته).

وقال سيادته موجها الكلام إلى السفيرة الأمريكية. (فنأمل أن لاندفع إلى هذا.. إن كل الذي يعطل العلاقة بيننا وبين ايران الآن هو شط العرب، فعندما نرى أننا أمام أن يعيش العراق بعز وكرامة أو شط العرب، سنقف لنناقش على أساس الحكمة التي قلناها في عام ١٩٧٤.. وعند ذاك مثلما خسر البارزاني فرصته التاريخية سيخسر كثيرون فرصتهم التاريخية).

وقد أرسل الرئيس صدام حسين في ١٤/٨/ ١٩٩٠ رسالة إلى الرئيس الايراني علي اكبر هاشمي رفسنجاني، تضمنت دعوة ايران، إلى المباشرة بالإجراءات الكفيلة بتحقيق السلام الشامل والدائم بين الطرفين.. والإجراءات هي تبادل الأسرى والانسحاب إلى الحدود الدولية على وفق اتفاقية عام ١٩٧٥، والأسس الواردة في رسالة سيادته إلى الرئيس الايراني في ٣٠/ تموز/ ١٩٩٠ وخاصة في ما يتعلق بتبادل ا الأسرى والفقرتين (٦ و٧) من قرار مجلس الأمن الدولي ٥٩٨ وأعلن سيادته في هذه الرسالة مبادرة حسن نية ببدء سحب القطعات العراقية من المناطق الحدودية ابتداء من تاريخ ١٩٩٠/٨/١٧.. بما يبقي ما هو رمزي منها مع حرس الحدود والشرطة. وأن يتم تبادل فوري وشامل لكل أسرى الحرب بكل أعدادهم المحتجزين في كل من العراق وايران.. وأن يتم ذلك عبر الحدود البرية وعن طريق خانقين- قصر شيرين ومنافذ أخرى يتفق عليها.. وسيكون العراق هو المبادر إلى هذا وسيباشر به ابتداء من يوم الجمعة ١٩٩٠/٨/١٧.. وأكد سيادته أنه بقرارنا هذا أصبح كل شيء واضحا لنطل معا على حياة جديدة يسودها التعاون في ظل مبادىء الإسلام ويحترم كل منا حقوق الآخر ونبعد المتصيدين في الماء العكر عن شواطئنا.. وربما تعاونا بما يبقي الخليج بحيرة سلام وأمان خالية من الأساطيل الأجنبية وقوى الأجنبي التي تتربص بنا الدوائر، بالإضافة إلى ميادين الحياة الأخرى.

إن مثل هذه الدعوة قد سبقت ١٩٩٠/٨/٢.. ويمكن أن نذكر على سبيل المثال رسالة الرئيس صدام حسين إلى علي خامنئي وهاشمي رفسنجاني بتاريخ ٢١/ ٤/ ١٩٩٠.. وقد اقترح سيادته عليهما عقد قمة في ثاني أيام عيد الفطر في مكة المكرمة للعمل على تحقيق السلام الذي تنتظره الأمة الإسلامية.

لا شك في أن الربط بين القرار العراقي بشأن شط العرب، ومن ثم إنهاء كل متعلقات النزاع مع ايران التي حاولت الأمم المتحدة أن تبقيها معلقة وبين الأوضاع التي تعيشها المنطقة عموما والعراق بخاصة بسبب الاستهداف الأمريكي للعراق، إن هذا الربط لم يغب عن كل الذين حاولوا قراءة معطيات القرار.

ونجد في وثائق تلك المرحلة إشارات كثيرة إلى الموقف العراقي وما هو مطلوب أو متوقع من رد عليه أو استجابة له من قبل حكام ايران.. ففي ٢٠/٨/١٩٩٠ وفي أثناء استقبال الرئيس صدام حسين للوفد اليمني المكون من السيدين سالم صالح محمد عضو مجلس الرئاسة وحسن مكي النائب الأول لرئيس الوزراء يقول سالم صالح: (لقد تم الاتصال من قبلنا للمرة الأولى مع الجانب الايراني وكان مضمون رسالتنا إليهم.. أن المطلوب من الجانب الايراني الخطوة الشجاعة نفسها مقابل الخطوة العراقية تجاه ايران، ونحن قد كانت لنا ذات المواقف العراقية إزاء ايران، ومستعدون الآن لتغييرها.. ولا بد من فك الحصار وعلى ايران أن تقوم بدورها بمساعدة العراق).

وفي الساعة العاشرة والنصف من صباح الثلاثاء ٢٠/٨/١٩٩٠ في أثناء استقبال السيد الرئيس صدام حسين للسيد (كوغرال) وزير خارجية الهند.. جرى حديث واسع نسبيا عن ايران.. وما ينبغي أن يكون ردها على القرار، حيث قال وزير خارجية الهند: (أنا مسرور أن هذه المشكلة تمت تصفيتها، وآمل أن تتفهم ايران الطريقة الكريمة التي تعاملتم بها معها)..

ويجيبه السيد الرئيس: (أود أن أقول أن مبادرتنا مع ايران سبقت الأحداث الأخيرة.. حيث كنا قد وجهنا رسالة إلى رفسنجاني في ٢١/ ٤/ ١٩٩٠، وقلنا للايرانيين أن المنطقة حبلى بالأحداث ومحاولات التآمر من الصهيونية ومن أمريكا، ولكي لا تدفع أمريكا باتجاه حرب جديدة بين العراق وايران، علينا أن نوطد دعائم السلام بسرعة.. وأن آخر رسالة أرسلناها لهم قبل مدة كانت الرسالة السابعة وتضمنت الأفكار نفسها وطلبنا منهم أن يزورهم الرفيق طارق

عزيز والرفيق برزان ابراهيم التكريتي ممثلنا في جنيف، وقلنا لهم إن الوفد يحمل حلاً مهماً، لكنهم تأخروا في الإجابة، ثم أبلغونا بعد مدة من الزمن موافقتهم من الناحية المبدئية، وسيعلموننا لاحقاً، بموعد استقبال المبعوثين.
وهنا استفسر وزير خارجية الهند قائلاً: متى كانت آخر رسالة؟ فأجاب السيد الرئيس: في الثالث عشر من آب الجاري، فقال الوزير الهندي: لقد اطلعت عليها.. وأنها تدل على حنكة سياسية وأتمنى أن يقرأ الايرانيون رسائلكم، لأنها تدل على الحكمة وبعد النظر لكي لا يخطأوا.
قال السيد الرئيس: الايرانيون عندما يقرأون الحكمة يتصورونها ضعفاً، لقد كانوا يفسرون رسائلنا إليهم قبل نيسان ١٩٨٨ بأنها صادرة عن حالة ضعف.. وعندما جاءت الضربات العسكرية ودخلنا أراضيهم فهموا أن الكلام السابق لم يكن ضعفاً.. وآمل أنهم قد استوعبوا الدرس الماضي لأن استيعابهم له.. مهم للسلام.. وعندما استفسر السيد (كوغرال): ما هو رد فعلهم؟. قال السيد الرئيس: من المفترض أن يترأس وزير خارجيتنا وفداً إلى طهران في الأسبوع القادم.. وقد رحبوا به.. قال الوزير الهندي: أتوقع أن تسرع عملية تبادل الأسرى في زيارة الوفد.
قال السيد الرئيس: من ناحيتنا نحن على استعداد لتسليم الأسرى في يوم واحد، وبرغم التعقيدات التي ترافق الانسحاب فإننا سننجزه غداً بالكامل، أي خلال خمسة أيام، وسيفاجأون بذلك، لأننا في الرسالة لم نقل لهم أننا سننسحب في وقت قصير من كل الأراضي المحتلة، قلنا فقط سنباشر بالانسحاب، ولم نحدد وقتاً لإتمامه.
استفسر السيد (كوغرال): هل ترون أن هذا سيغير من موقف الايرانيين إزاء الأزمة الحالية؟
قال السيد الرئيس: لم تبق للايرانيين حجة لكي يتصرفوا تصرفاً سيئاً.
وسأل وزير الخارجية الهندي.. ما هو دور الولايات المتحدة في هذا السياق؟
قال السيد الرئيس: إن الشعوب الايرانية عبئت ضد الولايات المتحدة، وبسبب هذه التعبئة التي استغرقت طويلاً، فأنهم لم يقيموا حتى الآن علاقات مع الولايات المتحدة، وقبل مبادرتنا كان موضوع الحرب واحتمالات استئنافها يمثل عبئاً ثقيلاً على استعدادهم للتفاعل معنا، أما الآن وبعد انسحابنا وتبادل الأسرى ومبادراتنا، فلم يبق لايران ما هو معلق، لذلك لم تبق للسيئين حجة أو غطاء يتحركون من خلاله.. هذا هو تحليلنا.. ومع ذلك فإن الأيام القادمة ستظهر مدى تفاعل حكومة ايران بالشكل الذي يجعل لها رصيداً في المستقبل.
واستفسر الوزير.. كيف كان رد فعل الايرانيين على التواجد العسكري الأمريكي في السعودية؟
قال السيد الرئيس: هم ضد هذا التواجد في السعودية وفي الخليج، مثلما يعلنون ذلك، وفي الوقت نفسه يعلنون عدم ارتياحهم من الوضع الجديد في الكويت.
قال (كوغرال).. هل هذه المسألة ستبقى نقطة خلاف بينكم وبين ايران؟
فقال السيد الرئيس: سننتظر ماذا ستسفر عنه المحادثات معهم.. نحن لا نطلب من كل الناس أن يقتنعوا فوراً بما نؤمن به.. خاصة مع ايران التي كنا معها في حرب، فلا نطلب منها أن تتطابق معنا في الرؤية، وفي كل الأحوال فإن للسلام شروطه وكذلك لعلاقة الجيرة الحسنة).
وقد أشار السيد الرئيس صدام حسين إلى الموقف من ايران في حديثه مع (بريماكوف) يوم التقى به في بغداد بتاريخ ١٩٩٠/١٠/٦ حيث قال: (وفي يوم ١٩٩٠/٨/١٤، عندما ازدادت الأمور تعقيداً وصار واضحاً أمامنا، أننا سنخوض معركة عسكرية، ولا نتعرض لحصار فقط اتخذنا قرارنا مع ايران، لقد قطع الغذاء والدواء عن شعب العراق ولم يبق إلا القتال، وهذا الحال لا يسهل الأمور، بل على العكس فإن أية مرونة يتصرف بها العراق ستعد خوفاً من العمل العسكري، لأنه لم يبق من إجراء تتخذه الأمم المتحدة ضدنا، غير العمل العسكري).

***

لم يألُ العراق جهداً، ولم يرفض سعياً في سبيل إنهاء الأزمة (سياسياً)، مستمداً ذلك الجهد من إحساسه العميق بمخاطر وويلات الحروب ومآسيها، مستحضراً اكثر من ستة آلاف عام من التحضر والحكمة مستنداً إلى عمق حضاري، كان له فيه الدور الريادي في منح البشرية النور والازدهار.
كان واضحاً أن العدوان على العراق قرار أمريكي لا تراجع عنه وإذ كانت معطيات الوضع السياسي تشير إلى أن العراق الذي خرج من الحرب مع ايران قوياً ومنتصراً، وذا دور قيادي مؤثر في المحيطين القومي والإقليمي فإن مثل هذا العراق، من المحرمات في حسابات المحور الغربي- الصهيوني، ولا بد من التآمر عليه وضربه، وإضعافه وتدمير الحلفات القوية فيه.
وقد دفع هذا المخطط إلى موقف العراق الدفاعي في ٢/ آب/ ١٩٩٠، والذي سرعان ما اتخذ غطاء لمواصلة مخطط ضرب العراق وتصعيده.
لقد كان بالإمكان البحث عن حل سياسي، عربي أو دولي، ولكن الولايات المتحدة قطعت الطريق على أية محاولة أو فكرة أو خطة تبعد الخيار العسكري أو تجعله في الموضع الثاني من سلم الأولويات، وإذ تعاملت بهذه الطريقة مع المبادرات العراقية وفي مقدمتها مبادرة ١٢ آب وقمعت المبادرات العربية ولم تسمح بأي حل سياسي دولي بل قمعت استجابات الآخرين للمبادرات السياسية كما هو الحال حين صرح الرئيس الفرنسي (فرانسوا ميتران) حول إمكانية التعامل مع ما جاء في مبادرة ١٢ أب وكيف اضطر وبتأثير الضغط الأمريكي الذي مارسه (جورج بوش) إلى أن يتراجع ويصمت ويستسلم للأوامر الأمريكية.
لكن لم تغب الاتصالات على الصعيد الدولي وحاول بعضهم أن يفعل شيئاً انطلاقاً من نيات حسنة أو من باب اللحاق بالعيار إلى باب الدار كما يقول المثل العربي أو وضع التمنيات في موضع الواقع.

وحين نراجع النشاط السياسي الذي شهدته بغداد في تلك الأيام العصيبة، نجد أفكاراً ومبادرات للبحث عن حل سياسي ممكن ومحاولات لجعل الموقف الأمريكي الذي اختار الحرب.. اكثر صعوبة وأقل إمكانية للحصول على إجماع دولي.
بتاريخ ١٩٩٠/٨/٢٠ وفي أثناء استقبال السيد الرئيس صدام حسين للمبعوث اليمني سالم صالح محمد.. يتحدث المبعوث اليمني في معرض حديثه عن الاتصالات اليمنية، بأنه تم الاتصال بفرنسا وأن موقفها متميز، وأنهم- الفرنسيون- لا يشاركون الولايات المتحدة وبريطانيا طريقة الحصار، وأن الفرنسيين اقترحوا على اليمنيين مواصلة الاتصال.
وقال أيضا: ونحن نقوم بالاتصالات مع إثيوبيا وبلدان أخرى. وإذ قال له السيد الرئيس صدام حسين: (نحتاج إلى حركة في أفريقيا)..
أجاب: التحرك على إثيوبيا للتخفيف على السودان، وأيضا للتخفيف على إثيوبيا، لذلك لا بد من التحرك النشط مع التنسيق.
يقول المندوب اليمني: يرى الأخوان ضرورة التعامل مع وفود الأمم المتحدة من قبلكم..
فيجيب سيادته: (طبعا.. نحن لا نتهرب من الحوار السياسي.. سواء مع الأمريكان أم مع السوريين أم المصريين أم السعوديين، نريد من خلال الحوار أن نهتدي إلى الخط ونصححه إذا كنا مخطئين.. فإذا اقتنعنا من خلال الحوار أننا مصيبون نرتفع معنوياتنا).
ومما ذكره سالم صالح محمد عن الاتصالات مع الدول الأخرى قوله: تمت اتصالات مع الصين، خلال أسبوع تسلمنا رسالتين مضمونهما أن هناك ضرورة لتحريك الوضع العربي لصالح المبادرة العراقية - واضح أن المقصود هو مبادرة ١٢ آب.. وقال.. إن موقف الصينيين ضد التواجد العسكري.
وفي هذا اليوم نفسه ١٩٩٠/٨/٢٠.. استقبل السيد الرئيس صدام حسين السيد (كوغرال) وزير خارجية الهند.. وحين قال (كوغرال): أستأذن سيادتكم أن تشرحوا لي كيف تنظرون للموقف الراهن قال السيد الرئيس: (الأمريكان جاءوا إلى هنا وجاء معهم عدد من أساطيل الدول الغربية.. هم والبريطانيون متقاربون في نظرتهم، أما الآخرون فيقتربون أو يبتعدون عنهم في ضوء تفاصيل الموقف..)
ثم تحدث عن احتمالات تطور الموقف وما يتوقع من ردود أفعال، بعدها قال الوزير الهندي: قبل أن أجيء إلى العراق كنت في موسكو وفي واشنطن وفي الأردن وأود أن أنقل رسالة شخصية من الملك حسين.. ذكر أن قضيتكم لا تطرح وتشرح في الخارج بكفاءة، وهناك سوء فهم لها، وأنه هو شخصيا يشعر أن هناك الكثير من الإيجابية في الموقف العراقي.
قال السيد الرئيس: (لقد وصلنا منه رأي مماثل).
وأضاف الوزير الهندي: التقيت مرتين مع الملك ومع ولي العهد.. وشرح لي تفصيلاً محادثاته في واشنطن وقدم لي تحليلاً تفصيلياً عن الموقف.. ويشعر العاهل الأردني أن هناك محاولات حثيثة من مبارك ومن ينوبون عن الأمريكان، لكي يطرحوا ما يغطي موقفكم.
قال السيد الرئيس: (هذا متوقع.. نحن أصحاب قضية.. وهم ورطوا أنفسهم في الخندق المضاد، هم صنائع أمريكا ونحن خلقنا الله أحراراً، فمن تسمع أمريكا؟ طبيعي تنصت لهم اكثر مما تنصت لنا.. ولكن كلما يمضي يوم ستضعفهم اكثر وربما تقطع عنهم المعونات (الخارجية) وفي نهاية المطاف، ستسعى لتستبدلهم إن استطاعت، إذا لم يستبدلهم الشعب).
قال السيد (كوغرال): يوم الثلاثاء الماضي كنت في موسكو، وقد تحقق لي لقاء مطول مع وزير الخارجية السوفيتي، وخصصنا وقتاً طويلاً من هذا الاجتماع لمناقشة الموقف في المنطقة، وتوصلنا إلى أن (شيفرنادزه) يشعر بالقلق الشديد ولا يؤيد إرسال قوات عسكرية إلى السعودية.
قال السيد الرئيس: (وماذا عمل إذا لم يؤيد)؟
قال (كوغرال): ذكر (شيفرنادزه).. أنه يريد القيام بشيء في الأمم المتحدة، وخاصة أنها لم تقم بأية مبادرة، إن قلقه على العراق قلق صديق، وهو دائم السعي للمحافظة على العلاقة مع العراق وتقويتها.
وهنا يقول الرئيس صدام حسين.. (لو تسمح لي أن أعلق على هذا الموضوع.. من الواضح أن الاتحاد السوفيتي اصبح بلا وجود في المنطقة، وأن العراق يجابه التخطيط الأمريكي من غير غطاء دولي.. ليس الآن ولكن منذ أن خرج العراق من الحرب منتصراً، وأمريكا والصهاينة يضعون الخطط لإيذائه وتشويه سمعته.. بينما ظل الاتحاد السوفيتي يتفرج.. نحن نقدر أن له ظروفاً خاصة.. ولا نتوقع أن يعمل معنا مثلما عمل مع سورية ومصر عند المواجهة مع "اسرائيل " عام ١٩٦٧ وعام ١٩٧٣)..
ومما قاله سيادته: (نطلب من الاتحاد السوفيتي.. أن يفهم هذه الأمور.. وأهمها لو أن أمريكا نجحت في هذه المعركة، فكيف ستتصرف مع الاتحاد السوفيتي، ولو أنها فشلت، كيف ستصبح مكانة الاتحاد السوفيتي في المنطقة والعالم؟ وكيف تتعامل أمريكا معه؟ والأهم كيف يصبح حال الاتحاد السوفيتي واليابان وأوروبا والهند، لو أن أمريكا سيطرت على وفق ما تخطط على آبار النفط في الشرق الأوسط. هذه باختصار قضايا واضحة، للبسيط في شوارع بغداد.. فكيف تكون غير واضحة لقادة الكرملين؟ نحن لا نريد أن نورطهم بموقف كما كانوا يفعون في موقف حرج، عندما يحصل صدام بين مصر وسورية ضد "اسرائيل ".. نحن نستطيع بإمكانياتنا أن ندافع عن أنفسنا.. ولكن نريدهم أن يتفهموا هذه الحقائق حتى يعاونوا في أن لا تتحرك المؤامرة بدون حواجز. إن بعض دول أوروبا ترى هذه الحقائق

أكثر مما يراها الكرملين) يتوقف الرئيس صدام حسين قليلاً.. ثم يوجه سؤالاً إلى محدثه: (أردت أن أسألك هل شيفرنادزه منزعج من الحصار أو التواجد الأمريكي، لعدم مشاركة بلاده بهما، أم أنه منزعج لأنه لا يستطيع كسر هذا الحصار؟). ويجيب (كوغرال): اعتقد انه يرغب في الحصار ولا يريد أن يشارك فيه، وهناك مسألة أخرى هي أنه قد يجد نفسه أنه غير قادر على أن يقيد حركة الأمريكان، ولكن انطباعي أنه لا يؤيد الأمريكان.

قال السيد الرئيس: (نحن لم نفترض معاداة مسبقة للأمريكان ولم نخطط لهذا، ولكن يبدو لنا بوضوح أنه أصبحت علينا وكل العرب الخيرين مسؤولية أن نحرر ليس المنطقة فحسب، وإنما العالم من ظلم الأمريكان، لا يجوز ألا يقف أحد في وجه هذا الظلم وهذه الحماقات.. صحيح أنها مسؤولية كبيرة، ولكنها شرف عظيم لمن يتحملها).

يعلق (كوغرال) قائلا: أنا أقدر نظرتكم لهذا الاتجاه، كما أقدر قلقكم على الثروات الطبيعية للوطن العربي. فيجيبه سيادته: (أنا لا أقلق على الثروة.. وإنما أقلق على الإنسان، الثروة يجب أن تستخدم لكي يهتدي الإنسان لإنسانيته الصحيحة، بينما يريد الأمريكان استخدام الثروة لتشويه إنسانيته).

في ١٩٩٠/١٠/٦.. حيث يستقبل الرئيس صدام حسين.. (بريماكوف) عضو مجلس الرئاسة السوفيتي.. يقول سيادته: (أننا لا نريد الحرب.. وإذا كان غيرنا لم يجرب الحرب من قبل فقد جربناها طيلة ثماني سنوات، وعلى المستوى الشخصي يعرف الرفيق (بريماكوف) أننا قاتلنا قبل أن نصبح عناوين في الحكم، ولم يعد هناك عنوان يستهوينا شخصيا.. أما على مستوى التضحية فقد قدمنا تضحيات كثيرة في الحرب مع ايران. أما على مستوى الاقتصاد والتكنولوجيا والأمور الأخرى.. فماذا بقي منها؟ إن النفط مقطوع.. والتجارة ممنوعة.. وأن آخر شيء وخلافاً لما وعدتمونا، قرر مجلس الأمن فرض الحظر الجوي ولم يعد أمامنا غير الزراعة.. وفي مجال الزراعة لا يستطيع أحد أن يمنع عنا الماء بصورة مطلقة، أو يحمل الأرض على أكتافه ويمشي بها.. ماذا أقول للجيش العراقي في الكويت؟ أأقول له سأعطي وعداً بالانسحاب، حتى ينهزم جيشي قبل المعركة؟ ماذا أقول للعراقيين. أأقول لهم أننا سننسحب من الكويت، وتحملوا أنتم الحصار؟..

ولأكن صريحا معك، رفيق (بريماكوف)، فأنت لا تستطيع أن تفك الحصار الأمريكي عن العراق.. إذاً حتى، على افتراض أن نعطي وعداً بالانسحاب من الكويت فإن الحصار سيبقى، وأن النفط لن يصدر وأن الحال سيبقى كما هو.. ونبقى آنذاك بانتظار مساومة جديدة مع الولايات المتحدة لا نعرف هدفها، لتسمح لنا بالخبز أو بالدواء.. ثم يستمر هذا على مدى قد يمتد إلى عشر سنوات.. إلى أن تسحق أمريكا النظام سياسياً واقتصادياً واجتماعياً. ولو أعطيتك الآن يا رفيق بريماكوف مرونة في كلامي في موضوع الكويت.. لمن ستعطي هذه المرونة؟ ومن يجيبك عليها؟.. هل تستطيع أنت كممثل للاتحاد السوفيتي أن تعطيني شيئاً؟.. أم أنك ستأخذ هذه المرونة من صدام حسين، وتدور بها على فهد وبوش.. كما أن "اسرائيل " أيضا تقف في الخلف تنتظر قائمة مطالبها، فهل ننتظر أن يصير حالنا مثل حال الآخرين بالنسبة للقضية الفلسطينية في السابق؟ ليست في كلامي هذا استهانة بقدرات الاتحاد السوفيتي.. فأنا متفهم لظرف الاتحاد السوفيتي، ولذلك أرى أن الولايات المتحدة تستطيع أن تفرض القرار الذي تريده في الأمم المتحدة، فخلال هذه الأيام كم قراراً استصدرت؟ لقد استصدرت أمريكا ثمانية قرارات باسم مجلس الأمن لدرجة أننا لم نعد نهتم بعددها، فعندما تكون الأمور بهذه الدرجة من الاستخفاف في مجلس الأمن، فإن الأمر يختلف.

لقد كنا كسياسيين، عندما يجتمع مجلس الأمن في السابق، نصغي له، وندرس قراراته، لكننا الآن لا نستطيع أن نلاحق مضامين القرارات التي يتخذها لكثرتها.

وواصل حديثه مع (بريماكوف) قائلا: (لقد كان الهدف الأمريكي واضحا قبل دخولنا الكويت، حيث كانوا يتآمرون على بلادنا ويعملون على اغتيال القيادة، فما هو الشيء الجديد الذي سيخسره العراقيون؟ ليس هناك من شيء جديد يخسرونه، بعد كل ما تعرضوا إليه، لكنهم لو واصلوا كفاحهم فإن هناك احتمالا أن يربحوا).

وقال سيادته: (إن حل الأمور يجب أن يكون بصورة شاملة "فاسرائيل" وصل بها الأمر إلى حد تحريض أمريكا على ضرب عائلة صدام حسين فهي تتصرف بهذه الخسة.. وأنا لا يهمني هذا، فليس صدام هو المهم، وإنما تهمني الأمة، وليس الجيل الحالي منها فقط وإنما أن تعيش الأجيال القادمة منها، بعز، جيلاً بعد جيل..

إن الأمة تعيش الآن بذل، وأن أمنها مفقود، طيب ماذا يخسر الاتحاد السوفيتي لو عمل هذا الترابط القوي بين حل أزمة الخليج وقضية فلسطين؟ أنه لا يخسر شيئاً.. بل سيكون له دور مرض عنه من العرب، ومن أمريكا خاصة وأن هذا المنطق في الربط صار ينمو على المستوى الدولي في أوروبا وبدأ يجد له أذاناً صاغية حتى في أمريكا.).

وإذ يستمر الحديث ويتم تبادل جملة أفكار.. ويتخلل ذلك بعض الذكريات المشتركة يقول الرئيس صدام حسين: (إن المرونة العراقية في غير مكانها، تعني انسحاق العراق والأمة العربية، أما المرونة السوفيتية، في غير مكانها، فلا تعني انسحاقاً للاتحاد السوفيتي وكذلك الحال بالنسبة للولايات المتحدة.

إن آخر القرارات لمجلس الأمن.. هو قرار منع طائرات الشحن.. بحيث أن الحظر الآن يكاد يكون حظراً جوياً كاملاً.. وبالمقابل فإن مجلس الأمن قد اتخذ قراراً بتأكيد تأييده لقرارات الطائف، حول لبنان، في المدة نفسها.. ألا يعرف الرفيق بريماكوف، ما هي قرارات الطائف؟ ثم ألا يعرف الرفيق بريماكوف.. أن القوات السورية في لبنان ليست هي القوة الوحيدة وليست هي مطلقة التصرف؟ (...) أما العراق فلا يحاوره أحد، بل يقال له انسحب.. طيب إلى أية حدود ينسحب؟ فحتى الأطراف الدولية لا تعطي لنفسها فرصة التفتيش عن حدود هذه الدولة التي تطالب من العراق أن ينسحب منها.

ثم هاهي منظمة التحرير الفلسطينية تطالب عن طريق اليمن انعقاد مجلس الأمن، لكي يناقش فقط تجاوزات سلطة الاحتلال في الأرض المحتلة، ولا يستجيب المجلس لهذا الطلب منذ أسبوعين.. وقبل هذا قامت "اسرائيل " بضم الجولان والقدس بعدوان مسلح معروف، ومع ذلك لم تجيش الجيوش عليها ولم تقاطع ولم تحاصر. إن هنالك شعورا عند العرب جميعاً.. بوجود نظرة استعلائية من جانب أمريكا ضدهم، وصارت بعض الأطراف تتصرف على هذا الأساس تجاه حقوق العرب..

أما المسائل التي يراد ايجاد ذرائع للعدوان على العرب على أساسها فيجري التعامل معها باستخفاف.. فإذا أريد حل المسالة سلمياً.. فهناك أحد أمرين، أن ننطلق من مبادرة ١٩٩٠/٨/١٢.. أو أن نهيء الجو للعرب ليحلوا هذه القضية في ما بينهم، لأن العرب أقدر على رؤية الأمور من الأطراف الأخرى، ويمكن أن يكون هذا على النحو الذي حلت به قضية لبنان، تماماً.

وقد يقال أن العرب غير موحدين.. فنقول نعم، لكنهم غير موحدين بسبب أمريكا، فهي التي لم ترد أن يتوصلوا إلى حل مشرف يجعل كل الجهات مرتاحة.. أما إذا أراد السوفيت أن ينطلقوا من مبادرة خاصة بهم، فأنني أوضح بأن يدرسوها بعمق، وأن يكون واضحاً أمامنا، ما هو لنا وما هو علينا، أما القول بأن العراق يجب أن ينسحب أو تقع الحرب، فهذا أمر غير مقبول، اللهم إلا إذا أراد السوفيت إسقاط العتب بالقول، أننا ذهبنا إلى العراقيين ولم نستطع إقناعهم بالانسحاب، ولم يعد أمام الأمريكان إلا الحل العسكري). قال (بريماكوف): أنني أقول.. أنني مع الحل العربي.. وأعد الموضوع جيداً جداً، إذا تم إيجاد حل في إطار الأسرة العربية.. وأعد أن هذا الحل مفيد إذا كان بالإمكان الوصول إليه.

فيقول السيد الرئيس: (إن قضية الصحراء.. وقضية لبنان، قد عولجتا بحل عربي، فلماذا لا نتصور أن بالإمكان حل هذه القضية عربياً؟ فالانشقاق العربي كان موجوداً تجاه كل هذه القضايا، برغم أنه ليس بالحدة التي هو عليها الآن.. ولكن العرب لم يكونوا موحدين منذ البداية على قضية الصحراء ولبنان، ومع ذلك فقد اتفقوا على حل للقضيتين).

قال (بريماكوف): ولم يكن هناك أيضا مثل هذا الرأي العام الموحد على الصعيد العالمي، ولا توجد مثل هذه الحشود العسكرية الأمريكية القوية في السعودية، وإذا نظرنا إلى مسألة الحل، فأنني افضل الحل العربي، ومنذ البداية كان الاتحاد السوفيتي ينادي بالحل العربي، لكن الوقت الآن يضغط علينا بشكل كبير.

قال الرئيس صدام حسين: (إذا، إما أن تهيأ الأمور لحل عربي، أو ننطلق بحل شمولي لقضايا المنطقة.. أننا لا نعد رأينا نهائياً، بل نتحاور عليه.. أو أن يبلور الاتحاد السوفيتي صيغة للحل على أساس الربط بين مسألة الكويت وقضية فلسطين، ويقول بشكل واضح ما للعراق وما عليه في هذه الصيغة، لكي تكون كل الأمور واضحة، ويتم الاتفاق عليها، أما القول بالانسحاب أو الحرب، فهو غير مقبول على الإطلاق).

ويقول (بريماكوف): إن الموقف مفهوم الآن.

وحين نعود إلى نص الحوار الذي جرى بين الرئيس صدام حسين و(رامزي كلارك) وزير العدل الأمريكي الأسبق بتاريخ ١٢/ ١١/ ١٩٩٠. نقرأ بعض ما قاله في ذلك الحوار الذي اتسم بالاستذكار ومحاولة البحث عن فرصة للسلام في ذلك الجو المحموم.. إذ يقول:

سأحاول أن أشير إلى قضيتين أعتقد أنهما ضروريتان لمنع وقوع الحرب.

الأولى: تنبع مباشرة من مبادرة ١٩٩٠/٨/١٢.. وأن من الحقائق الأساسية في علم النفس السياسي.. أنه إذا لم يكرر شيء ما لعدة مرات فإن الناس يمكن أن لا يعرفوه، أو يهملوه، نحن في صراع للبحث عن الحقيقة وقد حددتم أنتم العناصر الأساسية لتأمين السلام في المنطقة وأعلنتم هذه العناصر بصورة واضحة.. وهي المفاوضات، حيث لا نستطيع أن نفهم بعضنا دون اللجوء إلى المفاوضات والعقل.

الثانية: إن السلام أمر لا يتجزأ.. هذا يذكرنا باتفاقيات "كامب ديفيد"، حيث كانت مصر هناك، أما الفلسطينيون فلم يشتركوا، ولنقارن هذا بعرض لمسرحية (هاملت) لشكسبير ولكن بدون هاملت. إذاً السلام لا يمكن تجزئته.. إذا أريد أن يكون السلام يجب أن نعمل من اجل قضية فلسطين والوطن الفلسطيني.. وواصل السيد (كلارك) حديثه قائلاً: هناك ثلاثة أمور يقدمها القانون لنا.. الصيغة قد تكون غير ملائمة أو ملائمة بقدر صلتها باقتناع الناس، ثم أنها تساعد على كسب الوقت.. وكأسلوب تكتيكي أعتقد أن كسب الوقت يساعد على إحلال السلام.. وإذا حسبنا وقتاً يقدر بين ٣ - ٦ أشهر فإن إرادة الغرب والأمريكيين في القتال ستنتهي.. إن الأمور الثلاثة هي: أن يتولى العراق القيادة المعنوية ويوضح شيئين: أنه القائد المعنوي الذي يبحث عن السلام وأنه قائد القضية العربية لأنه يريد حل كل النزاعات العربية ويجب أن تستغل كل الوسائل والمنظمات غير الحكومية والدول الصديقة في الأمم المتحدة وخارجها ويجب أن نؤكد على مجلس الأمن أن يتحول في مناقشة هذه القضية من الفصل السابع إلى الفصل السادس، إن الفصل السادس هو فصل التسوية السلمية لكل المشاكل والنزاعات.. والفصل السابع يركز على استخدام القوة لحل النزاعات ولا يوجد أي مبرر في الوقت الحاضر لتطبيق الفصل السابع أنه أمر لم يسبق له مثيل في تاريخ الأمم المتحدة أن تحاول اللجوء إلى الفصل السابع. لننظر إلى الأمم المتحدة وتصرفها بشأن فلسطين فمع كل القرارات التي صدرت لم تفعل "اسرائيل" شيئاً لتطبيقها.. وغزو أمريكا لـ (بنما) وقد كتبت حول هذا الموضوع، إذ أنني ذهبت إلى (بنما) بعد ٣ - ٤ أيام من الغزو، وكذلك فعلت عند غزو (غرينادا) وقصف الولايات المتحدة طرابلس.. ورأيت ما فعلته طائرات "١١١" التي أطلقت قنابل موجهة بالليزر إلى مقر القذافي ومكتبه.. إذاً الفصل السابع غير مناسب هنا.. أما الفصل السادس فيجب أن نعمل عليه حتى بمساعدة الأصدقاء.

وقال (كلارك): ألاحظ بحزن أن هناك قوى تريد الحرب، إن هذه القوى ضد العراق قبل ١٩٩٠/٨/٢.. وقد قال (شارون).. وقد كنت في نيويورك في كانون الأول/ديسمبر: "علينا شل قدرة العراق وسورية وليبيا والمنظمة، وبعد ذلك ستعيش "اسرائيل" سعيدة"، لذلك فإن بلادي تريد تولي دور قيادة العالم، ولا تستطيع تحقيق هذا الدور عن طريق المنافسة الاقتصادية مع اليابان أو السوق الأوربية، وتريد تحقيقه بالقوة عن طريق السيطرة على الموارد الطبيعية، فلو لم يوجد نفط هنا لما أتى الأمريكان، إن اليابان وأوروبا تعتمدان عليه، وأمريكا تسيطر عليه كما تفعل مع السعودية، فتصبح هذه الدول أتباعاً للدولة العظمى الأولى.

إذاً ستقترحون التحكيم.. وهذا سيكسبكم الوقت، وإذا لم تحققوا التحكيم تستطيعون أن تقدموا دعوى أمام محكمة العدل الدولية.. المأساة أنه في هذا الوقت، لا يعرف ١% من الشعب الأمريكي شيئاً عن مبادرة ١٢/آب-أغسطس.. لقد نسوها تماما.. إن الشيء الذي يجب أن نفعله هو أن نكرر الحديث حول هذه المبادرات وأن نبين أن العراق يريد تجنب وقوع الحرب.. ويريد السلام، ولكنه غير خائف من الحرب..

غير أننا لم نجد صدى للأفكار التي طرحها السيد (رامزي كلارك)، ولم نطلع على متابعات عملية بشأنها.. إن هذا المواطن الأمريكي وهو وزير عدل سابق، حاول من خلال رؤيته الإنسانية أن يبعد خيار الحرب الذي صممت عليه بلاده، ولا شك في أن الرجل قد صدر في محاولته هذه عن نية حسنة.. لكن في مثل هذه الحالات ماذا يمكن أن تفعل النية الحسنة وحدها.

في الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الخميس، ٢٩/ ١١/ ١٩٩٠ استقبل الرئيس صدام حسين السيد (دانيال اورتيغا)، زعيم جبهة (ساندنستا)، رئيس جمهورية (نيكاراغوا) السابق.. وحضر الاجتماع السادة عزة ابراهيم وطه ياسين رمضان وطارق عزيز وسعدون حمادي ولطيف نصيف جاسم وحامد يوسف حمادي والمقدم عبد حميد محمود ومحسن خليل السكرتير الصحفي..

وقد سبق هذا اللقاء، لقاء آخر كان بتاريخ ١٤ /١١/ ١٩٩٠ في لقاء ٢٩ /١١.. وبعد تبادل عبارات الترحيب الودية، قال(اورتيغا): هناك مناقشات وتكهنات في مجلس الأمن حول الموقف الذي ستتخذه الصين، المشكلة أن الوقت مازال مبكراً، الآن الساعة الثالثة فجراً بتوقيت نيويورك.. والاجتماع سيبدأ الساعة العاشرة صباحاً بالتوقيت نفسه، مازالت أمامنا ثماني ساعات.

ويعقب السيد الرئيس: (أنت تعرف الوقت أحسن مني.. وأنا لم أسأل عنه.. أنت رفيق نضال.. أما هذا الذي يجري في مجلس الأمن، فلن يأتي بجديد، ليس استخفافاً منا بمجلس الأمن، وإنما لأنه هو استخف بنفسه عندما وضعت الولايات المتحدة العنان (الرشمة) في عنقه، وأصبحت تقوده أينما تريد.

إن نيات الولايات المتحدة بالعدوان، سابقة على القرار، وهي قررت العدوان منذ جاءت إلى المنطقة.. ويبدو أن الولايات المتحدة تواجه معارضة في داخلها، فإذا أرادت أن تستعين بمجلس الأمن، فلكي تأخذ شرعية العدوان منه، ولكن بالنتيجة، إذا ما بدأ القتال سنقاتل، وليس كما تخطط الولايات المتحدة.

نحن ليست لنا مصلحة في الحرب، ولكن سنعطي درساً للإنسانية كلها في أن لا حرية ولا حياة بدون تضحية.. عندما يكون الظلم بهذا المستوى والإصرار على الظلم يصل إلى حد التبجح بعدم الحوار ورفض الحوار، وعندما يصبح قياس الأمور، هو المال المدفوع، كما هو الحال بالنسبة للاتحاد السوفيتي، الذي يفترض فيه أن يحمي المبادىء، فإذا بالسعودية تشتري قراره بأربعة مليارات دولار وحكام الكويت دفعوا مبلغاً.. أقول عندما تصبح الأمور بهذا المستوى لا بد من صيحة ضمير عالية تجعل الشعوب تصحو على هذا الواقع المرير).

وفي سياق الحديث.. يقول (اورتيغا): هناك حديث حول استخدام الصين لحق الفيتو.. فيقول السيد الرئيس: (لا أتوقع هذا.. إن أكثر شيء تفعله الصين هو الامتناع عن التصويت..).

وهنا يعلق (دانيال اورتيغا) بالقول: لا توجد حالياً مبادرة حقيقية وصلبة للسلام وليست هناك مبادرة مركزية تدور حولها الجهود لمواجهة الفكرة الأخرى التي تلوح بالحرب.

إن الكلام كله يدور الآن حول المبادرة الأمريكية، والجدل يدور حول ما إذا يجب أن يكون القرار مخففاً أم مشدداً.

ويواصل (اورتيغا) حديثه مع الرئيس صدام حسين قائلاً: استكمالاً لما تحدثنا به معكم في ١٩٩٠/١١/١٤، تحدثنا مع (راجيف غاندي) عن ضرورة تكوين مجموعة الاتصالات من الأسماء التي طرحت هناك وهي الأسماء نفسها التي طرحت هنا أمامكم.. وهم: (فيلي برانت)، (ناكوسوني)، (ماندیلا)، (راجيف غاندي)، وأنا.. وقد بحثنا مع (غاندي) وفريق عمل خلال أربعة أيام توصلنا إلى استنتاج نود أن نبحثه معكم، وأن نستمع إلى مقترحاتكم وآرائكم بشأنه..

واتفقنا على أن يكون هناك طرح داخلي بين الهند ونيكاراغوا مع العراق. وسنحاول التقرب لكثر ما يمكن إلى أن نكون القاعدة الأساسية للتفاوض، ويتفق بشأن هذه القاعدة مع العراق والهند ونيكاراغوا. وليست هناك ضرورة لطرح هذه المبادرة على الرأي العام العالمي، ولا على الصحافة، بل يمكن الحديث عن وجود مبادرة، لكن دون الدخول في التفاصيل..

بعد الوصول إلى الاتفاق على القاعدة الأساسية للتفاوض مع العراق، يمكن كخطوة تالية عقد الاجتماع الأول في ألمانيا أو النرويج في منتصف كانون الأول/ديسمبر لهذه المجموعة المكونة من الخمسة.

ويتابع (اورتيغا): في هذا الاجتماع سنقوم بطرح ما اتفق عليه كقاعدة أساس للتفاوض على الخمسة، وعلى أساس هذا الاجتماع تكون هناك مبادرة محددة متفق عليها، فيسافر الخمسة إلى بغداد لطرحها عليكم ومناقشتها.. وكل هذا ينبني على أساس وجود حد أدنى من الاتفاق.

تحدثنا مع (راجيف) حول نقاط أساسية، أو رؤوس أقلام أولية، ومن هذه المبادرة التي سأطرحها عليكم، هناك نسختان واحدة مع الهنود والثانية معي..
هناك مقدمة أستطيع أن أقرأها عليكم، ثم نعرض النقاط الأخرى، نقطة نقطة، ثم اقتراحات متعددة ستكون هي قاعدة التفاوض الأساسية:
"نص المقترح الذي عرضه السيد اورتيغا"..
أولاً - أن من مصلحة الدول النامية وحركة عدم الانحياز وكل القوى التقدمية حقاً، أن لا يضعف العراق ولا يذل، فقد كان العراق ولا يزال عامل استقرار، ويجب أن يبقى كذلك.
ثانياً - وبذات القدر من الأهمية، يجب أن تكون الدول في منطقة الشرق الأوسط الاستراتيجية بمواردها الغنية بالنفط ذات سيادة ومستقلة وأن لا تكون تابعة أو يسيطر عليها أي من القوى العظمى.
ثالثاً - يجب إيقاف المزيد من نشر القوات الأمريكية والأجنبية الأخرى، في الشرق الأوسط، ويجب سحب الوجود العسكري الأمريكي والأجنبي الكبير بأسرع وقت ممكن، ولا يمكن السماح لتواجد مؤقت للقوات والذي يمكن أن يتحول إلى تواجد دائم.
رابعاً - ينبغي تجنب الحرب ويجب أن لا يعمل على رفض هذا الخيار فحسب، بل أن تبذل كل الجهود لتأمين عدم دفع العالم إلى الحرب.
خامساً - يجب تصحيح الإشكال الأخرى من الظلم التي تقترف في المنطقة نتيجة عدم الانصياع لقرارات مجلس الأمن مثل الأراضي المحتلة بصورة غير قانونية في فلسطين والأردن ولبنان وقبرص.. الخ.
سادساً - إن تبني وتقوية تنفيذ النظام القانوني الدولي وسيادة القانون في العلاقات الدولية يعد مسؤولية كل عضو من أعضاء الأمم المتحدة.
سابعاً - في إطار وروح ما سبق نقدم المقترحات التالية لينظر بها العراق، وإذا ما وافق عليها العراق مبدئياً، فستتم صياغة (استراتيجيات وأساليب عمل) حتى لا يتعرض موقف العراق ومكانته للضرر:-
أ - (١).. كخطوة أولى تجاه نزع فتيل الوضع المتفجر والتخفيف من التصعيد والعمل تجاه سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط، نعتقد بأن على العراق أن يعلن حالاً نيته القوية لبدء الانسحاب من الكويت ابتداء من.. أو.
(٢) .. وإذا لم يتم انسحاب كامل فيمكن عند ذاك أن يرتبط الانسحاب النهائي بتسوية النزاع الحدودي بين العراق والكويت من خلال صيغ وأساليب يتفق عليها بصورة ثنائية.
ب - (١) .. انسحاب كامل للقوات الأمريكية والأجنبية من الشرق الأوسط. أو.
(٢) .. عدم إرسال مزيد من القوات الأمريكية والأجنبية الأخرى، والقيام بانسحاب تدريجي للقوات الأمريكية والأجنبية الموجودة حالياً..
ج - رفع العقوبات الاقتصادية المفروضة على العراق..
د - تسهيل مغادرة كل الأجانب شريطة أن يضمن مجلس الأمن عدم استخدام القوة.
هـ - الانصياع لكل قرارات مجلس الأمن.
من خلال هذه المقترحات يمكن إضافة قرارات أخرى تتعلق بقبرص وغيرها إذا ارتأى العراق ذلك. وعلى أساس هذه المقترحات، لا يكون العراق ملزماً بأي عمل من جانب واحد.. لأن الطرح شمولي وكامل.. لكن المقترحات تنطلق من نقطة أساسية هي: إلى أين يستطيع العراق الوصول، لتعزيز وتقوية مبادرة سلمية تستطيع مجموعة الخمسة أن تجتمع على أساسها؟..
ولذلك يمكن البدء بالمجيء إلى بغداد لطرح هذه المبادرة.. في هذا الطرح ليس مطلوباً من العراق أن يقول أي شيء.. حتى من غير الملائم أن يعلن العراق عن أي شيء.. المهم الآن عندنا، هو معرفة مدى استعداد العراق للاتصال مع الهند ونيكاراغوا لوضع هذا الأساس لقاعدة تفاوضية، ونستطيع على أساسها أن ننظم اجتماع الخمسة في ألمانيا أو النرويج، وعلى أساس القاعدة التفاوضية المتفق عليها بين العراق والهند ونيكاراغوا نستطيع في الاجتماع المذكور للخمسة أن نبني طرحاً جديداً أو نأتي نحن الخمسة إلى العراق.
لذلك بعد الاتفاق مع العراق نستطيع نحن أن نطرح هذه المبادرة على الخمسة. وحول هذه الأسس المقترحة، نستطيع التوصل إلى اتفاق حول أية تعديلات نرونها.
يقول الرئيس صدام حسين: (أنتم تقدرون أنه مع قولكم أن العراق غير ملزم بشيء في بادىء الأمر، لكن عندما يجري الحديث مع العراق ومع رئيس الدولة فيه، فلا بد أن يكون ملزماً من الناحية الاعتبارية بها بقدر أو بآخر.. ومع ذلك خففتم عنا عندما قلتم أن العراق غير ملزم ابتداء بشيء. كما تعرفون أن المشكلة ليست الاختلاف هنا أو هناك.. المشكلة.. هي أن هناك طريقين:
طريقاً يريد أن تطرح الأمور بمنطق عادل، وبالحوار.
وطريقاً يريد استخدام المنطق المضاد للعدل، وبلا حوار أو تفاوض..
لذلك نحن عندما ندعو للحوار فإننا نفترض ابتداء أن يحصل خلاف هنا أو هناك، واتفاق هنا أو هناك، لكن مع استمرار الحوار يبدأ التقارب.. هذه ملاحظة أولية على المشروع.
الملاحظة الأخرى أن المشروع مصوغ على أساس أن الموضوع يجري في إطار العراق والولايات المتحدة فحسب، وإن كان في جانبه الأساس هو هكذا.. ولكن المشروع يتحدث عن قرارات مجلس الأمن الخاصة بالعراق بشكل واضح

بينما لم يتحدث بالمستوى نفسه من الوضوح عن احتلال "اسرائيل" لفلسطين والأراضي العربية الأخرى، مثل احتلال "اسرائيل" لأجزاء من سورية ولبنان، واحتلال تركيا لجزء من قبرص.
لذلك نرى أنه عندما يحصل الحديث عن العراق، يحصل الحديث أيضا عن مجموعة الناس الذين تعنيهم قرارات مجلس الأمن.
إن القوات الأمريكية ينبغي أن لا تضفي عليها الشرعية لأنها جاءت إلى المنطقة بدون قرار من مجلس الأمن، جاءت هنا أولاً، وبقرار أمريكي، لذلك ينبغي أن لا يحصل ربط تزلمني بين العراق والولايات المتحدة في أية خطوة من الخطوات، وإنما ابتداء، وبمجرد الموافقة وعدم رفض المبادرة من المعنيين، يقول المشروع، إن عليها أن تنسحب بالجدول الزمني نفسه الذي تحشدت فيه.. وعندما نتحدث عن العقوبات الصادرة من مجلس الأمن ضد العراق، علينا أن لا نكتفي بالقول (رفع العقوبات) وإنما بالتعبير (كأنها لم تكن) أي أن لا تترتب عليها أية آثار منذ لحظة إقرارها إلى لحظة إلغائها، أو أية صيغة قانونية أقوى، لأنه بدون ذلك قد تستمر بعض القرارات تلاحق العراق، وإلغاؤها يكون أفضل.
هناك جانب أريد أن ألفت الانتباه إليه، وهو الغذاء والدواء.. هذا الجانب يجري تطبيق المنع والحصار فيه ليس طبقاً لقرارات مجلس الأمن، ويجري التصرف فيه خلافاً لميثاق الأمم المتحدة، ويفترض أن يتصدر هذا الموضوع الأمور المطروحة في المقترح، وأن لا يكون مرتبطاً بشرط.
النقطة الأخرى المرتبطة مع فقرة الغذاء، هي أن القوات الموجودة في البحر، تستخدم القوة على بواخرنا وأيضاً هذا غير مقرر.. وهي تقوم بإطلاق النار والقيام بإنزال عسكري على بواخرنا.. وهذه تصرفات كيفية لا تستند إلى قرارات من مجلس الأمن.
أيضاً يفترض أن تتوقف هذه التصرفات من غير قيد أو شرط كونها غير قانونية، حتى طبقاً لقرارات الأمم المتحدة، وفي هذا أنا أتحدث عن الحال قبل صدور قرار مجلس الأمن المتوقع هذا اليوم.
قد يكون لدى الخارجية بعض الملاحظات الفنية، وربما يلتقي الرفيق (اورتيغا) مع الرفيق طارق عزيز. إن واجبنا أن نعاون وننصر الذين ينشدون الحل السلمي، وبعد ذلك عندما يأتي دورنا في مناقشة المبادرة، بعد استكمال كل جوانبها سنقول رأينا في كل فقرة من فقراتها).
قال (اورتيغا): نستطيع أن نقول أنه مع الملاحظات التي أبديتموها يمكن البدء بالعمل فوراً، نعتقد أنها ملاحظات مشروعة عادلة.. الشيء المثالي هو البدء بالعمل والوصول إلى هذه القاعدة المقبولة.. والشيء الأساس هو موقف العراق.
قال السيد الرئيس: (نحن لا نريد أن تحول الأمور هكذا.. بمعنى أن يستسلم لكل ما تريده الولايات المتحدة، لكن الذي يتحمل المسؤولية في هذا هو الولايات المتحدة و "اسرائيل" التي تحتل أراضي عربية، فيجب اتساق الأمور على وفق هذا المجرى، ويأتي دور العراق كمساعد لإحلال السلام على وفق مسؤولياته الإنسانية.
أنتم تعرفون أننا نرى أن المسؤول عن الأزمة، هو الولايات المتحدة، فينبغي أن يحصل التوجه للعراق بغير التوجه للولايات المتحد ة و"اسرائيل".
إن دور العراق في تحقيق الأمن والاستقرار في المنطقة والعالم، دور الحريص طبقاً لمسؤولياته الإنسانية، وليس كمحتل مطلوب منه أن يقوم بذات ما ينبغي أن يفرض على المحتلين أن يقوموا به كأمريكا و"اسرائيل").
أجاب (اورتيغا): لم نتحدث عن القوات العربية الموجودة في المنطقة (وبعضها جاء من باكستان) كونها قوات من المنطقة لكن القوات الأمريكية والبريطانية من خارج المنطقة.
وعلق الرئيس صدام حسين: (هذه يفترض أن تكون في صدر الموضوع إذا أريد أن يجعل لها ربط فيصير لها ربط خفيف في المدخل، أو ضمن التوطئة للحل.
الآن الأساس أن تتعود الولايات المتحدة "أن لا تحشر نفسها كشرطي إقليمي في أية قضية في العالم، وعندما تحشر نفسها كشرطي، تبدأ تضع لها دوراً في القضايا الإقليمية، وفي هذا خطر على العالم..
كذلك ينبغي أن يجري حديث عن الصلة لكل قضية مع خلفيتها.
نحن لسنا ضد أي مسعى لحل سلمي ينطلق من نيات غير عدوانية.. ومن الطبيعي أن أي مسعى في هذا الإطار عندما يأخذ مجرى جدياً، أن نناقشه بصورة تفصيلية.. أسأل ما هي الاعتبارات التي جعلتكم تختارون هذه الأسماء ضمن مجموعة الخمسة: (ناكسوني)، مثلا، رئيس وزراء سابق، وليس لديه على ما يبدو أمل بالعودة إلى رئاسة الوزراء في المستقبل).
فقال (اورتيغا): هناك انطباع أن الوضع العدواني الأمريكي ضد العراق موجه ضد الهند واليابان وألمانيا، لأنها بلدان تمر في مرحلة تطور ونمو.. وهذا يضرها.

***

(المحرر) هذه هي الأجواء التي كانت سائدة قبل بدء العدوان الثلاثيني الغادر على العراق في الساعة الثانية والنصف بعد منتصف ليل ١٦-١٧ كانون الثاني/يناير ١٩٩١ بتوقيت العراق الذي طرح الحل الشامل والكامل لكافة القضايا المعلقة في المنطقة العربية كما في حوض البحر الأبيض المتوسط، وفي المقابل نرى التشدد وصلف الإدارة الأميركية التي رفضت أي مبادرة ومن أي جهة أتت وذلك من أجل تدمير العراق وإعادته إلى "عصر ما قبل الصناعة" كما أعلن

وزير خارجية أميركا آنذاك (جيمس بيكر).. وقد أوضح الرئيس صدام حسين خلال كلماته ولقاءاته لكل الوفود التي زارت بغداد قبل العدوان، أهداف الصهيونية العالمية وغاية الحصار الجائر الذي فرضته الإدارة الأميركية من خلال مجلس الأمن الدولي، منذ السادس من آب/أغسطس ١٩٩٠.

الجدير بالذكر أن هذه الوثائق التي توضح موقف العراق وقيادته من مجريات الأحداث في المنطقة بينما باقي الوثائق الهامة الأخرى والتي سننشرها في (المحرر) في وقت لاحق كما وعدنا والتي من بينها تأكيدات عدد من رجال الدين والسياسيين من عدد من الدول العربية والأوروبية الذين زاروا العراق طالبين من العراق أن يعترف بالكيان الصهيوني وأن يستبعد من فكر حزب البعث العربي الاشتراكي كل ما له علاقة بالقضية الفلسطينية وأن يقبل بتوطين آلاف الفلسطينيين إضافة للموجودين على أرضه من جيش التحرير الفلسطيني ومن فصائل فلسطينية مختلفة وذلك بجانب عدة مئات الآلاف من لبنان الذي يقطنه أكثر من ٤٥٠ ألف فلسطيني في المخيمات المنتشرة فيه، وكذلك من عدد من الدول العربية الأخرى التي لم تقبل إلا بتوطين عدد محدد من الفلسطينيين على أراضيها والمتابع لمجريات الأوضاع قبل وبعد غزو العراق كشفت أن احتلال العراق إنما هو تأكيد واضح على أن السبب الأساسي لاحتلال العراق هو موقف العراق الرسمي والشعبي من قضية فلسطين إضافة للسيطرة على النفط والتأثير على منظمة الدول المصدرة للنفط (أوبك) وموضوع توطين الفلسطينيين وما يحدث في فلسطين في هذه الأيام دليل لا يحتاج لتوضيح على ذلك، إضافة إلى أن موقف إدارة الشر الصهيو-أمريكية لم تخف نواياها حول هذه القضايا بل أعلنها رئيسها بوش الصغير وعصبة الشر في إدارته..

****